بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، قال رحمه الله تعالى :

لا ينجو غدا إلا من لقي الله بقلب سليم ، ليس فيه سواه ، قال الله تعالى : [يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم] القلب السليم : هو الطاهر من أجناس المخالفات ، فأما المتلطخ بشيء من المكروهات فلا يصح لمجاورة حضرة القدس ، إلا بعد أن يطهر في كير العذاب ، فإذا زال منه الخبث صلح حينئذ للمجاورة ، إن الله طيب لا يقبل إلا طيبا ، فأما القلوب الطيبة فتصلح للمجاورة من أول الأمر [سلاما عليكم طبتم فادخلوها خالدين] [الزمر : 73] **[الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلاما عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون]** [النحل : 32] .

ومن لم يحرق اليوم قلبه بنار الأسف على ما سلف ، أو بنار الشوق إلى لقاء الحبيب ، فنار جهنم له أشد حرا ، ما يحتاج إلى التطهير منها لجهنم إلا من لم يكمل تحقيق التوحيد والقيام بحقوقه .

أول من تسعر بهم النار من الموحدين ، العُباد المراءون بأعمالهم ، وأولهم العالم والمجاهد والمتصدق للرياء ؛ لأن يسير الرياء شرك ، ما ينظر المرائي إلى الخلق في عمله إلا لجهله بعظمة الخالق ، المرائي يزور التواقيع على اسم الملك ؛ ليأخذ البراطيل لنفسه ، ويوهم أنه من خاصة الملك ، وهو ما يعرف الملك بالكلية ، نقش المرائي على الدرهم الزائف اسم الملك ليروج ، والبهرج ما يجوز إلا على غير الناقد .

وبعد أهل الرياء يدخل النار أصحاب الشهوات ، وعبيد الهوى ، الذين أطاعوا هواهم وعصوا مولاهم .

فأما عبيد الله حقا فيقال لهم : [يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي] [الفجر : 30.27] **نار جهنم تنطفيء بنور إيمان الموحدين .**

الشرح :

الحمد لله ، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله ، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه .

يقول المؤلف : (لا ينجو من عذاب الله يوم القيامة إلا صاحب القلب السليم ، قال الله سبحانه وتعالى : **[يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم])** هذا جاء في ثنايا قصة إبراهيم ، ودعائه **[واجعلني من ورثة جنة النعيم واغفر لأبي إنه كان من الضالين ولا تخزني يوم يبعثون يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم]** [الشعراء : 85 . 89] ، ومن بديع المناسبات أن الله أخبر عن إبراهيم ، بسلامة القلب **[وإن من شيعته لإبراهيم إذ جاء ربه بقلب سليم]** [الصافات : 83 . 84] فالقلب السليم جاء في هذين الموضعين ، كليهما ، الأولى في كلام إبراهيم ، والثانية في وصف الله لإبراهيم .

والقلب السليم : صيغة تدل على السلامة ، ضد العليل ، وضد المريض ، سليم ، سالم ، يكون القلب السليم هو السالم من المخالفات ، مخالفات الأوامر والنواهي ، بترك مأمور أو فعل محظور ، هذه هي المخالفات .

فلا ينجو من عذاب الله نجاة ، بحيث لا يناله عذاب ، إلا صاحب القلب

.....

السليم ، من أتى الله بقلب سليم فهذا هو الذي ينجو ، ولا يتعرض لشيء من العذاب لسلامة قلبه ، وعلى هذا فيدخل الجنة من أول وهلة .

فأشار المؤلف إلى نوع من سلامة القلب ، وقد يقال إن كلامه شامل ، لكن لعله مما يوضح المقام ما ذكره العلامة ابن القيم في مواضع من كتبه ، ولاسيما في (غاية الأغاني) فإنه عني بالكلام على أقسام القلوب ، فينبغي أن يراجع وتراجع تلك الأبواب .

ومما جاء في كلامه : أن القلب السليم السالم من فتن الشهوات وفتن الشبهات .

فتن الشهوات : التي تعارض أمر الله ونهيه . وفتن الشبهات التي تعارض خبر الله .

ففتن الشهوات تحمل على المعصية والمخالفة ، بترك المأمور وفعل المحذور ، والشبهات تضعف اليقين أو تورث الشك فيما أخبر الله به ورسوله.

فالقلب السليم لابد أن يسلم اعتقاده من عوارض الشبهات ، وتسلم إرادته من عوارض الشهوات . فالقلوب أقسام ، فيها :

القلب السليم ، والقلب المريض ، والقلب الميت الذي لا حس ولا إرادة وهو قلب الكافر ، والقلب السليم هو قلب المؤمن كامل الإيمان ، والمريض هو قلب المخلط الذي فيه مادتان ، مادة حياة ومادة مرض أو مادة موت ، فهو لما غلب عليه منهما ، وفي الحديث الصحيح ((تعرض الفتن على القلوب عودا عودا كعرض الحصير ، فأي قلب أشربها نكتت فيه نكتة سوداء ، وأي قلب أنكرها نكت فيه نكتة بيضاء ، حتى تعود القلوب إلى قلبين ، قلب أبيض فيه

.....

السواد يظهر ، وقلب أسود مرباد كالكوز مجخيا لا يعرف معروفا ولا ينكر منكرا إلا ما أشرب من هواه)) .

ومن أمراض القلوب التي تبعث على الشهوات وهي كثيرة منها : الرياء ، وهو أن يعمل الإنسان العمل مما يحب الله ومما شرع الله ليراه الناس ، وليقول فيه الناس كذا وكذا ، يعني للمحمدة ، نعوذ بالله ، وهذا مرض خطير ، نسأل الله أن يقينا وإياكم منه ، نسأل الله أن يطهر القلوب ، لا إله إلا الله ، ولهذا جاء في الحديث قوله صلى الله عليه وسلم : ((أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر)) فسُئل عنه ، قال : ((الرياء)) .

وفي المسائل التي ذكرها الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، استنباطا من نصوص باب الخوف من الشرك ، أن الرياء أخوف ما يخاف على الصالحين فعلى الإنسان أن يجتنبه وأن يأخذ بالأسباب الواقية منه ، وأن يسأل ربه أن يعصمه من الشرك كله ، صغيره وكبيره ، ظاهره وخفيه ، فالرياء هو شرك أصغر وخفي .

فالقلب السليم هو الذي سلم من هذه الآفات ، من الرياء وغيره من أمراض القلوب ، الكبر ، الحسد ، الرياء ، سوء الظن ، سوء الظن بالله ، الظنون الكاذبة ، الغش . وهي أمراض قلبية معنوية كلها تنافي سلامة القلب ، لكن قد تصل إلى أن يموت بها القلب فيصير ميتا ، وقد يصير مريضا ثم يصح ، وقد يبقى مريضا ، فالقلوب هكذا ، أحوال القلوب تشبه أحوال الأبدان ؛ فكما أن الأبدان هكذا تعرض لها العوارض فمنها الميت ومنها الصحيح ومنها المريض ، والأمراض تختلف، فمرض معضل ربما يفضي بصاحبه إلى

.....

الموت ، كذلك أمراض القلوب . نسأل الله العافية ، ونعوذ بالله ، لا إله إلا الله

قال المصنف : (أول من تسعر بهم النار من الموحد ، العُباد المراءون بأعمالهم ، وأولهم العالم والمجاهد والمتصدق للرياء ؛ لأن يسير الرياء شرك ، ما ينظر المرائي إلى الخلق في عمله إلا لجهله بعظمة الخالق ، المرائي يزور التواقيع على اسم الملك ، ليأخذ البراطيل لنفسه ، ويوهم أنه من خاصة الملك)

هذه أمثال تضرب للمرائي ، أولاً : إن المرائي إنما أُتي من جهله بربه ، من عرف ربه وأنه المستحق لأن يؤله وأن يعبد ويتقرب إليه بأنواع القربات ، لا يبالي بالخلق ولا يعبأ بهم ، فعمله في الغيب والشهادة واحد ، لا يبالي بالناس ، إنما يعمل لربه ويتقرب إلى ربه ، فإنما أُتي بجهله بعظمة الخالق .

والمرائي يظهر الصلاح ، وهذا هو الذي ضرب له مثلين ؛ بأنه يزور التواقيع ، ويظهر أنه من خواص الملك ، وينقش اسم الملك على الدرهم الزائف ، كل هذه أمثال بحال المرائي من جهة أنه يظهر الصلاح والقرب من الله وهو بخلاف ذلك ، يعني أن عمل المرائي تزوير ، فليس باطنه كظاهره .

نقش المرائي على الدرهم الزائف اسم الملك ليروج ، والبهرج ما يجوز إلا على غير الناقد .

وبعد أهل الرياء يدخل النار أصحاب الشهوات ، وعبيد الهوى ، الذين أطاعوا هواهم وعصوا مولاهم .

فأما عبيد الله حقا فيقال لهم : [يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي] نار جهنم تنطفيء بنور إيمان الموحدين . في الحديث : تقول النار للمؤمن : جز ؛ فقد أطفأ نورك لهبي . وفي المسند عن جابر ، عن النبي صلى الله عليه وسلم : ((لا يبقى مؤمن ولا فاجر إلا دخلها ، فتكون على المؤمنين بردا وسلاما ، كما كانت على إبراهيم ، حتى إن للنار ضجيجا من بردهم)) ، هذا ميراث ورثه المحبون من حال الخليل عليه السلام ، نار المحبة في قلوب المحبين تخاف منها نار جهنم .

الشرح :

على كل حال في هذه الجملة تنبيه إلى أن أصحاب القلوب السليمة وهم عباد الله المخلصون ، هؤلاء يصيرون إلى الجنة من أول وهلة ولا ينالهم شيء من العذاب ، ولا تمسهم النار بحرها وإن وردوها ، والله تعالى يقول : **[وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا]** [مريم : 71 ، 72]

وهذا الورود قد قيل أنه العبور على الصراط ، وإنما هو ورود فقط دون دخول ، وقال بعض المفسرين ، كما يشهد له هذا الحديث أنه ما من بر . أو ما من مؤمن . ولا فاجر إلا دخل النار ، لكن المؤمنون لا ينالهم حرها

.....

ولا يضرهم عذابها ، بل تكون عليهم بردا وسلاما ، فيجوزون ، جز يا مؤمن ؛ فقد أطفأ نورك حري ، أو كما جاء في الحديث أو الأثر ، فالمقصود : قيل إن الورود إنه دخول النار **[وإن منكم إلا واردها]** ، وقد رجح هذا المعنى شيخنا الشيخ محمد الأمين الشنقيطي ، في (أضواء البيان) ، واستشهد لذلك بأن الورود في سائر مواضعه يراد به الدخول **[إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون]** [الأنبياء : 98] فسمى الدخول ورودا ، وقوله تعالى : **[فأوردهم النار وبئس الورد المورود]** [هود :98] .

وعلى أي حال فأهل التوحيد الخالص وعباد الله المخلصون لا يعذبون ولا يمسهم شيء من العذاب ، بل هم يمضون كما قال سبحانه وتعالى : **[ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا]** [مريم : 72] ، **[يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية]** ، كأن السياق يقتضي أنه يقال هذا اليوم يوم القيامة ، ولا مانع أنه يقال للنفس عند الاحتضار **[يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية]** ؛ فهي ترجع إلى ربها بالموت ، وترجع إلى ربها كذلك يوم القيامة وتدخل في عباد الله وفي كرامة الله ، **[فادخلي في عبادي وادخلي جنتي]** ، **[الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون]** .

فالنفس المطمئنة ونفوس عباد الله الطيبين تؤول إلى الجنة وتدخل الجنة بعد الموت ، ولكن الدخول المستقر والدخول على وجه التمام والكمال إنما يكون يوم القيامة ، عندما ترد الأرواح إلى الأبدان ، ويبعث الناس من قبورهم ، فهنالك يسير كل إلى ما يناسبه من الجزاء **[ويوم تقوم الساعة يومئذ**

.....

يتفرقون فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة يحبرون] [الروم : 15] ، **[وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمرا]** [الزمر : 71] ، **[وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرا]** [الزمر : 73] .

قال المصنف ، رحمه الله تعالى :

نار المحبة في قلوب المحبين تخاف منها نار جهنم .

قال الجنيد : قالت النار : يا ربي لو لم أطعك هل كنت تعذبني بشيء ؟ قال : نعم ، قالت : وهل هناك نار أعظم مني وأشد ؟ قال : نار محبتي ، أسكنتها أوليائي المؤمنين .

كان بعض العارفين يقول : أليس عجبا أن أكون حيا بين أظهركم وفي قلبي من الاشتياق إلى ربي مثل شعل النار التي لا تنطفيء !! .

الشرح :

هذه الكلمات في الحقيقة منكرة ، واستشهاد المؤلف بها غير لائق ، لكن . كما ذكرت لكم . بعض أهل العلم يكون عنده نزعة تصوف فيتساهل بالاستشهاد بأقوال بعض شيوخ الصوفية ؛ فقوله : إن نار المحبة ، التعبير عن قوة المحبة وصدق المحبة بالنار هذا لا يليق في محبة الله ولا يصلح أبدا ، هذا في محبة العشاق الذين يعانون من عشقهم ، ومحبتهم تلك عذاب ، عذاب لهم يعذبون بها **[فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم إنما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا]** [التوبة : 55] .

فالمفتون بأمر من المحبوبات ، حين لا يناله يبقى معذبا به بسبب توقانه وتعلقه به ، أما محبة الله فحاشا وكلا أن تكون نارا وأن تكون عذابا ؛ فأنبياء الله ورسله وأتباعه من المؤمنين في قلوبهم من محبة الله ما ليس في قلوب هؤلاء الصوفية ، وهذه المحبة هي حلاوة يجدونها في قلوبهم فليست نارا ، و عذابا ، ((ثلاثة من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان : أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ..)) إلى آخر الحديث .

.....

ثـم يـردف هـذا الكـلام ، أن محبـة الله نـار ، تخافهـا نـار جهـنم ، يـردف بهذا القول المفترى ، أن نار جهنم تقول هذا الحوار : لو لم أطعك فبأي شيء تعذبني ؟ قال : أعذبك بناري الكبرى ، نار محبتي ، فمحبة الله ليست نارا ، بل هي حلاوة ونعيم ، نعيم قلوب المؤمنين ، فالمؤمنون وإن كانوا يخافون ، يحبون ربهم ويخافونه ويرجونه ، فهم ينعمون بمحبته ، وينعمون بخوفه ورجائه ؛ لأنهم يخافون منه ويفرون إليه ، يفرون منه إليه ، لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك .

فهذا كلام منكر ، لا يصح ، والجنيد أثنى عليه شيخ الإسلام ابن تيمية ، وابن القيم ؛ فهو مستبعد أن يثبت عنه ذلك ، والله أعلم .

نـار الله الكبـرى هـي التـي يعـذب بهـا الكفـار ، **[سـيتذكر مـن يخشـى ويتجنبها الأشقى الذي يصلى النار الكبرى ثم لا يموت فيها ولا يحيى]** [الأعلى : 10 . 13] فإطلاق هذه الألفاظ إنما يفعله العشاق ، فالواحد منهم يتكلم ، فيقول : في قلبي نار من حب فلان أو فلانة ، نعم يجدون نارا ويجدون ألما ويتعذبون ويشقون شقاء ، أما أهل الإيمان وأهل العلم بالله والحب لله ، فليسوا كذلك ،بل هم في نعيم من تلكم المحبة كما دلت عليها النصوص .

قال المصنف :

ما للعارفين شغل بغير مولاهم ، ولا هم في غيره ، في الحديث : ((من أصبح وهمه غير الله ، فليس من الله)) .

قال بعضهم : من أخبرك أن وليه له هم في غيره فلا تصدق .

وكان داود الطائي يقول في الليل : همك عطل علي الهموم ، وحالف بيني وبين السهاد ، وشوقي إلي النظر إليك أوفق مني اللذات ، وحال بيني وبين الشهوات ، فأنا في سجنك أيها الكريم مطلوب .

الشرح :

وكذلك هذا الكلام إن صح ، فهو كلام أحد الصوفية الجهال ، الذين عندهم محبة وعندهم شوق ، ولكن على غير علم وبصيرة .

فحب الأنبياء والمرسلين لم يعطل عليهم كل شيء ، أليسوا يتزوجون ؟ ولهم ذرية وأموال ؟**[ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواج وذرية]** [الرعد : 38] ، أليسوا يأكلون ويشربون ويمشون في الأسواق ويقضون حوائجهم ؟ فحبهم لله وإقبالهم لم يعطل عليهم لذاتهم الطبيعية ، حتى يترك الواحد أهله وولده ولذاته ، وهي أمور بشرية طبيعية ، فهو سبحانه شرع للإنسان أن يأكل ويشرب ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب الحلوى والعسل ، وقال صلى الله عليه وسلم : ((حبب إلي من دنياكم الطيب والنساء وجعلت قرة عيني في الصلاة)) فهذا كلام من اجتهاد العباد الذي تجاوزوا فيه الحدود وهو من جهلهم فيرجى أن يغفر الله خطأهم ما دام أنه صدر عن حسن نية وعن اجتهاد ، لكن ما خالف الشرع يجب رده على كل أحد كائناً من كان .

.....

فمثل هذه الأقاويل يجب أن لا تذك ولا يستشهد بها لأنها مخالفة لما جاءت به النصوص الشرعية .

قال المصنف ، رحمه الله تعالى :

إخواني إذا فهمتم هذا المعنى ، فهمتم قوله صلى الله عليه وسلم : ((من شهد أن لا إله إلا الله صدقا من قلبه حرمه الله على النار)) ، فأما من دخل النار من أهل الكلمة فمن قلة صدقه في قولها ؛ فإن هذه الكلمة إذا صدقت طهرت القلب من كل ما سوى الله ، وإن بقي في القلب أثر لسوى الله ، فمن قلة الصدق في قولها ، من صدق في قوله : لا إله إلا الله ، لم يحب سواه ، ولم يرجو إلا إياه ، ولم يخش أحداً إلا الله ، ولم يتوكل إلا على الله ، ولم يبق له بقية من آثار نفسه وهواه .

الشرح :

هذا كلام فيه حق ؛ أنه من صدق في توحيده وَخلَّى قلبه من العبودية لغير الله ، فلا نقول : يخلو قلبه من غير الله ، فالقلب فيه تعلقات طبيعية ، ومحبة طبيعية ، وخوف طبيعي ، فالإنسان لا يخرج من طبيعته الإنسانية ؟ لكن من شهد أن لا إله إلا الله صدقا من قلبه ، أو مستيقنا بها ، فإنه يخلو من العبودية لغيرالله .

فليس صحيحاً أنه يخلو من غير الله ، بمعنى أنه لا يكون فيه تعلق أو التفاتة أو محبة أو خوف منه ، الرسل وأتباعهم كما علمنا ، كانت لهم عوارض طبيعية ، وهم أشد الخلق حبا لله ، وتعظيما لله ، وعبودية لله .

وهذا إبراهيم عليه السلام لما دخل عليه ضيفه ، خاف منهم ، قال : [**إنا منكم وجلون قالوا لا توجل إنا نبشرك بغلام عليم**] [الحجر : 52] وذكر الله هذا [**وأوجس منهم خيفة**] [هود : 70] ، وموسى خاف لما ألقى السحرة عصيهم وحبالهم [**فأوجس في نفسه خيفة موسى قلنا لا تخف**

.....

إنك أنت الأعلى] [طه : 68.67] ، وهناك شواهد كثيرة . كذلك المحبة للأشياء الطبيعية ، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب الحلوى والعسل ، يحب الدبس ، كما جاء في حديث أنس وحديث ((حبب ؟إلى من دنياكم الطيب والنساء)) كل هذا لا ينافي محبة الله ، فالذي ينافي محبة الله المحبة التي فيها عبودية ، بحيث إنه يُؤثر هذه المحبوبات على أمر الله وعلى شرع الله ، وعلى ما يحبه الله ، فيقدم هواه ، ويقدم هذه المحبوبات على ما يحبه الله [**قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم**] الآية ، وفي الحديث ((تعس عبد الدينار ، تعس عبد الدرهم ، تعس عبد الخميصة ، تعس عبد الخميلة)) .

ولكن مثل هذه الأقاويل المجملة التي فيها حق وباطل ينبغي أن تستفصل فيها وتوضح دندنة على ذكر المحبة ، وفيها إهمال لجانب الخوف والرجاء ، والعبادةُ تقوم على هذه الأسس وعلى هذه الأركان : المحبة والخوف والرجاء ، ولهذا قال بعض أهل العلم مقولة مشهورة ، تقول : من عبد الله بالحب تذندق . كحال بعض الصوفية ، فيقول : أنا لا أخاف من عذاب الله ولا أرجو ثواب الله ، بئس ما قال ، كلام منكر ، ومن عبده بالخوف فقط ، كان حروريا ، صار من جنس الخوارج ، ومن عبده بالرجاء كان مرجئا ، فهي مقولة لها توجيه . ومن عبد الله بالحب والخوف والرجاء فهو مؤمن موحد مستقيم على الصراط المستقيم .

قال رحمه الله :

ومع هذا فلا تظنوا أن المراد أن المحب مطالب بالعصمة ، وإنما هو مطالب كلما زل أن يتلافى تلك الوصمة ، قال زيد بن أسلم : إن الله ليحب العبد حتى يبلغ من حبه له أن يقول : اذهب فاعمل ما شئت فقد غفرت لك . وقال الشعبي : إذا أحب الله عبدا لم يضره ذنبه .

وتفسير هذا الكلام : أن الله عز وجل له عناية بمن يحبه من عباده ، فكلما زلق ذلك العبد في هوة الهوى أخذ بيده إلى نجوة النجاة ، ييسر له أسباب التوبة ، وينبهه على قبح الزلة ، فيفزع إلى الاعتذار ، ويبتليه بمصائب مكفرة لما جنى .

وفي بعض الآثار يقول الله : أهل ذكري أهل مجالستي ، وأهل طاعتي أهل كرامتي ، وأهل معصيتي لا أأيسهم من رحمتي ، إن تابوا فأنا حبيبهم ، وإن لم يتوبوا فأنا طبيبهم ، أبتليهم بالمصائب لأطهرهم من المعائب .

وفي صحيح مسلم ، عن جابر ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : ((الحمى تذيب الخطايا كما يذهب الكير الخبث)) .

وفي المسند وصحيح ابن حبان ، عن عبد الله بن مغفل : أن رجلا لقي امرأة كانت بغيا في الجاهلية ، فجعل يلاعبها حتى بسط يده إليها ، فقالت له : إن الله أذهب الشرك وجاء بالإسلام ، فتركها وولى ، فجعل يلتفت خلفه وينظر إليها حتى أصاب وجهه حائطا ، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم والدم يسيل على وجهه ، فأخبره بالأمر ، فقال صلى الله عليه وسلم : ((أنت عبد أراد الله بك خيرا)) ،ثم قال : ((إن الله إذا أراد بعبد خيرا عجل عقوبته في الدنيا ، وإذا أراد بعبد شرا أمسك ذنبه حتى يوافي يوم القيامة)) .

الشرح :

هذا الكلام فيه أنه ليس المراد من الكلام في تحقيق التوحيد أو صدق المحبة أن يكون الإنسان معصوما لا يقترف ذنبا ، بل المقصود ألا يصر ، وإلا فليس أحد من أولياء الله بعد رسول الله معصوما ، فتجوز على أولياء الله . على الكمل منهم . الذنوب ، لكن أهل الإيمان الصادق لا يصرون على الذنوب ، بل كما قال سبحانه وتعالى : **[إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون]** [الأعراف : 201] .

فهم يذنبون فيتوبون ، والتوبة باب واسع مفتوح للعباد ، فكل من أذنب ذنبا فإنه لا يضيق به هذا الباب ، له أن يتوب إلى الله ويبادر **[يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحا عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم]** [التحريم : 8]

وقال سبحانه : **[وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون]** [النور : 31] .

والتوبة من أعلى مقامات الدين ، قد أثنى الله بها على الرسل **[لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم إنه بهم رؤوف رحيم]** [التوبة : 117] .

فالمقصود أن على العبد أن يتوجه إلى ربه ويصدق ويراقب ربه ، فإذا عصاه بادر إلى التوبة ، وأن يستحضر أن الله مطلع عليه ، شهيد ، فعليه أن يحذر أن يراه حيث نهاه وأن يفقده حيث أمره .

.....

وأعلى مقامات الدين الإحسان ، وهي أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك .

فهذا الكلام الذي نبه عليه المؤلف كلام طيب ؛ فليس من شرط الولاية العصمة ، فأولياء الله تعرض عليهم الذنوب ، لكن يتوبون وينيبون ويبادرون إلى التوبة إلى الله ، خوفاً من الله ومحبة لله ورجاء ثواب الله .

قال رحمه الله :

يا قومي قلوبكم على أصل الطهارة وإنما أصابها رشاش من نجاسة الذنوب ، فرشوا عليها قليلا من دمع العيون وقد طهرت ، اعزموا على فطام النفوس عن رضاع الهوى ؛ فالحمية رأس الدواء ، متى طالبتكم بمألوفاتها فقولوا لها كما قالت تلك المرأة لذلك الرجل الذي دمي وجهه : قد أذهب الله الشرك وجاء بالإسلام .

والإسلام يقتضي الاستسلام والانقياد للطاعة ، ذكروها مدحا [إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا] لعلها تحن إلى الاستقامة ، عرفوها اطلاعا من هو أقرب إليها من حبل الوريد ، لعلها تستحي من قربه ونظره ، [ألم يعلم بأن الله يرى] [إن ربك لبالمرصاد]

راود رجل امرأة في فلاة ليلا فأبت ، فقال لها : ما يرانا إلا الكواكب ، قالت فأين مكوكبها ؟ .

أكره رجل امرأة على نفسها وأمرها بغلق الأبواب ففعلت , فقال لها : هل بقي باب لم تغلقيه ؟ قالت : نعم ، الباب الذي بيننا وبين الله ، فلم يتعرض لها .

رأى بعض العارفين رجلا يكلم امرأة ، فقال : إن الله يراكما . سترنا الله وإياكما .

سُئل الجنيد بم يستعان على غض البصر ؟ قال : بعلمك أن نظر الله إليك أسبق من نظرك إلى ما تنظر .

الشرح :

وهذه العبارات وهذه القصص كلها تؤكد ما سبق ، وأن على العبد أن

.....

يراقب ربه ، وأنه معرض للذنوب وإن كان عبدا صالحا ، معرض للغفلة ، معرض للوقوع في الزلة والهفوة ، لكن عليه أن يستحضر اطلاع الله عليه ، عليه أن يتذكر أنه يسمعه ويراه ويعلم سره وعلانيته ، ولهذا يذكر الله عباده بهذه الأسماء الثلاثة : السميع ، والبصير ، والعليم ، فلو نستحضر ما تقتضيه هذه الأسماء الثلاثة ، نعم نحن نؤمن بها ، ولكن الإيمان بها غير التأثر بها .

فاسمه السميع يقتضي أنه سامع لجميع الأصوات ، سامع لأقوالنا ولكلماتنا ، السر منها والعلانية ، والبصير يقتضي أنه يرانا ويرى أفعالنا [**فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون**] [التوبة : 105]

فالله يرى أعمال العباد [**وتوكل على العزيز الرحيم الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين**] [الشعراء : 217 . 219]

[**واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا**] [الطور : 46] ، [**تجري بأعيننا**] [**القمر : 14**] وقد قيل في معنى هذا : يعني على مرأى منا ، يسمع ويرى [**إنني معكما أسمع وأرى**] [طه : 46] .

وكذلك العليم ، العلم الشامل ، يعلم السر وأخفى ويعلم ما في الصدور [**إن الله عليم بما في الصدور**] [**يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور**]

فبهذه القصص معتبر ، والإنسان يغفل كتلك التي جاءت في الحكاية ، يعني ذلك الرجل الذي خلا مع تلك المرأة وأمرها أن تغلق الأبواب وقال لها : هل بقي باب ؟ قالت : نعم بقي باب ، الباب الذي بيننا وبين الله ، فتأثر بذلك وتركها ، وخاف من ربه ، وهكذا يكون الإيمان ، الإيمان الباعث على مراقبة الله وهو غائب عن الناس ، لا يراه أحد ويكف عن الحرام

.....

وعن الكسب الحرام ، وقد يظفر بمال يقدر على أن يفترسه ولا يطلع عليه أحد ويأمن ، ولكن يمنعه من ذلك الخوف .

وخذوا المثال في قصة أحد السبعة الذين يظلهم الله تحت عرشه يوم القيامة ومنهم رجل دعته امرأة ذات منصب وجمال . وهي التي تدعوه . فقال إني أخاف الله . وأقرب مثال لهذا يوسف عليه السلام ، قد اجتمعت عليه كل أسباب الوقوع في الفاحشة ، مملوك رقيق غريب شاب عزب ، وتدعوه سيدته لمطلوبها ويفر من ذلك **[ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين]** [يوسف : 24] ، النتيجة أنه يفر إلى الباب ليخرج ؛ ليسلم من العاقبة ، وهكذا **[واستبقا الباب]** يعني أيهما أسبق ، هو يريد الباب ليهرب ويخرج ، وهي تريد الباب لتغلقه ولتحول بينه وبين الخروج .

ما نظر إلى مقام المراقبة ومقام الخوف من الله ، هذا هو الباعث على الكف عن المحارم والباعث على التوبة من الجرائم .

قال رحمه الله :

سُئل الجنيد بم يستعان على غض البصر ؟ قال : بعلمك أن نظر الله إليك أسبق من نظرك إلى ما تنظر .

وقال المحاسبي : المراقبة : علم القلب بقرب الرب . كلما قربت المعرفة بالله قوي الحياء من قربه ونظره .

وصى النبي صلى الله عليه وسلم رجلا أن يستحي من الله كما يستحي من رجل صالح من عشيرته لا يفارقه .

قال بعضهم : استحي من الله على قدر قربه منك ، وخف الله على قدر قدرته عليك . كان بعضهم يقول : منذ أربعين سنة ما خطوت خطوة لغير الله ، ولا نظرت إلى شيء أستحسنه حياءً من الله عز وجل . وكلمة التوحيد لها فضائل عظيمة لا يمكن هاهنا استقصاؤها ، فلنذكر بعض ما ورد فيها .

الشرح :

فالجمل المتقدمة ، هي تؤكد ما سبق ؛ فهي مما يعين على الكف عن الحرمات ، على كف البصر ، وحفظ الفرج ، وحفظ الجوارح ، عن معاصي الله ، وهو استعراض اطلاع الله على عبده وسماعه وبصره وعلمه ، فاستحضاره لمعاني هذه الأسماء هذا أعظم سبب يكف العبد عن المحرمات ، ويجعل العبد يحجم ويمتنع ويتذكر أنه يراه ، إن الله يسمعه ، أن الله يعلم سره وعلانيته ، فيستحيي من ربه .

فبقدر علم العبد بذلك ويقينه وشعوره بذلك تكون حاله في أمر حدود الله ، من الوقوف عند حدود الله وقيامه بطاعة الله سبحانه وتعالى .

....

وذكر المصنف في بعض الشواهد لهذا من أقوال بعض العباد وبعض المأثورات ، والأحاديث وإن كانت ضعيفة مثلا فأهل العلم لا يرون مانعا من الاستشهاد بالأحاديث وإن كانت ضعيفة في تقرير وتأكيد الأمر الثابت ، مثلما يكون في أحاديث الترغيب والترهيب ، فأما الأحكام والعقائد فإنما تثبت بالأدلة الصحيحة ، لكن هناك من الأدلة ما يذكر للاعتضاد والاستشهاد لا للاعتماد ، فالقضية الثابتة عقدية علمية أو عملية الثابتة بالدليل الصحيح من كتاب وسنة لا بأس أن تسوق الشواهد والروايات والآثار والأخبار التي تؤيدها وتؤكدها وتعمقها في النفس ؛ لأن المعنى حق ، فلا مانع من ذكر ما يؤيد أمراً معلوماً وثابتاً بالدليل .

كثير من أهل العلم من الأولين والآخرين درجوا على هذا ، فلا يتخذ . مثلا. ذكرهم لبعض الروايات أو بعض الآثار وبعض الأحاديث التي يمكن أن يقال إنها ضعيفة ، لا يتخذ من ذلك مطعنٌ عليهم ، ولكن إذا عرف مقصودهم اندفع طعن الطاعنين من الجاهلين أو المغرضين .

قال رحمه الله :

وكلمة التوحيد لها فضائل عظيمة لا يمكن هاهنا استقصاؤها ، فلنذكر بعض ما ورد فيها : فهي كلمة التقوى ، كما قاله عمر وغيره من الصحابة ، وهي كلمة الإخلاص ، وشهادة الحق ، ودعوة الحق ، وبراءة من الشرك ، ونجاة هذا الأمر ، ولأجلها خلق الخلق ، كما قال تعالى : [وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون] .

ولأجلها أرسلت الرسل وأنزلت الكتب ، قال تعالى : [وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون] ، وقال تعالى : [ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده أن أنذروا أن لا إله إلا أنا فاتقون] ، وهذه الآية أول ما عدد على عباده من النعم في سورة النعم التي تسمى سورة النحل ، ولهذا قال ابن عيينة : ما أنعم الله على العباد نعمة أعظم من أن عرفهم لا إله إلا الله ، وإن لا إله إلا الله لأهل الجنة كالماء البارد لأهل الدنيا ، ولأجلها أعدت دار الثواب ودار العقاب في الآخرة ، فمن قالها ومات عليها كان من أهل دار الثواب ، ومن ردها كان من أهل دار العقاب ، ومن أجلها أمرت الرسل بالجهاد ، فمن قالها عصم ماله ودمه ، ومن أباها فماله ودمه هدر ، وهي مفتاح دعوة الرسول ، وبها كلم الله موسى كفاحا .

الشرح :

هذا الموضوع يختم به المؤلف رسالته في التوحيد ، وهو في فضائل هذه الكلمة ، أو فضائل التوحيد ، فهذه الكلمة : لا إله إلا الله ، جاءت في القرآن بعدة أساليب تعبر عنها ، كقوله تعالى :**[ولقد بعثنا في كل أمة رسولا**

.....

أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت] [النحل : 36] وهي الكلمة التي قال الله فيها : **[قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا]** [آل عمران : 64] هي كلمة التوحيد ، هذه هي الكلمة **[ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله]** ، ولها أسماء : كلمة التوحيد ، كلمة التقوى ، التي جاء ذكرها في سورة الفتح ، قال سبحانه وتعالى **[وألزمهم كلمة التقوى وكانوا أحق بها وأهلها]** [الفتح : 26] كلمة التقوى ، كما ذكر المؤلف ، ونقل في تفسيرها عن عمر وغيره أنها لا إله إلا الله ، وهي كلمة تقوى ؛ لأن من قالها صدقا من قلبه أوجب له ذلك تقوى الله ؛ لأنها تتضمن الإيمان بالله والكفر بالطاغوت ، والإيمان به ربا وإلها ، فمن آمن بهذه الكلمة إيمانا صادقا ؛ فإنها توجب له تقوى الله ، توجب له أن يطيع رْبه ، وأن يعبد ربه ، وأن يمتثل لأوامره .

وهي شهادة الحق ؛ لأنها الشهادة التي شهد الله بها لنفسه وشهدت بها ملائكته وأولو العلم **[شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم]** [آل عمران : 18]

وهي كلمة الإخلاص ؛ لأن من أقر بها ظاهرا وباطنا أخلص لله عمله ، فهي تظهر الإخلاص ، إخلاص الدين لله ، وإخلاص العبادة لله .

ومن فضلها أنها الموجبة لدخول الجنة والنجاة من النار ، أو النجاة من الخلود في النار ؛ كما تقدم ، وهي التي من أجلها خلق الله الثقلين الجن والأنس **[وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون]** [الذاريات : 56] ومن أجلها أرسل الله الرسل **[ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا**

الطاغوت] ، وكل نبي يقول لقومه : اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ، وقال تعالى **[وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون]** [الأنبياء : 25] ، ومن أجل ذلك خلق الله السماوات والأرض وخلق الجنة والنار ، خلق الله الدنيا والآخرة ، كما قال سبحانه وتعالى : **[خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا]** [الملك : 2] خلق العباد ليبتليهم ، وخلق السماوات والأرض ليبتلي العباد ، وقال سبحانه : **[وهو الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام وكان عرشه على الماء ليبلوكم أيكم أحسن عملا]** [هود : 7] **[إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا]** [الكهف : 7] .

وابتلاؤهم إنما هو بأمرهم ونهيهم ، أمرهم بعبادة الله ، ونهيهم عن عبادة ما سواه ، أمرهم بطاعته وطاعة رسله ، وخلق الله الجنة والنار ، خلق الله الجنة للموحدين ، وخلق النار للكافرين المشركين ، هذا معنى أن الله خلق الخلق لهذه الكلمة ، فمن أجلها خلق الله الخلق ، خلق السماوات والأرض ، وأرسل الرسل وأنزل الكتب ، وخلق الجنة والنار ، فلا إله إلا الله معناها : الإيمان بالله والكفر بالطاغوت ، وذلك هو العروة الوثقى ، كما قال سبحانه وتعالى : **[لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم]** [البقرة : 256] .

ويأتي الكلام على بقية ما ذكره المؤلف في فضائل هذه الكلمة ، وفضائل هذه الكلمة هي فضل التوحيد ، قل : فضائل هذه الكلمة ، أو فضل

.....

التوحيد ، المؤدى والمعنى واحد ؛ فإن التوحيد هو معنى لا إله إلا الله ، ولا إله إلا الله معناها التوحيد ، ولهذا في رواية الأحاديث تارة يعبر عن هذه الكلمة بالتوحيد ، وتارة تذكر هذه الكلمة .

والله الموفق للجميع ، نسأل الله أن يوفقنا للتحقق بهذه الكلمة ، نسأل الله أن يرزقنا وإياكم تحقيق التوحيد .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .قال رحمه الله تعالى :

ومن أجلها أرسلت الرسل بالجهاد ، فمن قالها عصم ماله ودمه ، ومن أباها فماله ودمه هدر ، وهي مفتاح دعوة الرسل ، وبها كلم الله موسى كفاحا . وفي مسند البزار ، وغيره عن عياض الأنصاري ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : ((إن لا إله إلا الله كلمة حق على الله كريمة ولها من الله مكان ، وهي كلمة جمعت وشركت ، فمن قالها صادقا أدخله الله الجنة ، ومن قالها كاذبا أحرزت ماله وحقنت دمه ولقي الله فحاسبه ، وهي مفتاح الجنة . كما تقدم . وهي ثمن الجنة)) قاله الحسن ، وجاء مرفوعا من وجوه ضعيفة : ((من كانت آخر كلامه دخل الجنة)) وهي نجاة من النار .

وسمع النبي صلى الله عليه وسلم مؤذنا يقول : أشهد أن لا إله إلا الله ، فقال : ((خرج من النار)) خرجه مسلم .

وهي توجب المغفرة ، في المسند عن شداد بن أوس ، وعبادة بن الصامت ؛ أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه يوما : ((ارفعوا أيديكم وقولوا لا إله إلا الله)) فرفعنا أيدينا ساعة ، ثم وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : ((الحمد لله ، اللهم بعثتني بهذه الكلمة وأمرتني بها ووعدتني الجنة عليها ؛ إنك لا تخلف الميعاد)) ثم قال : ((أبشروا ؛ فإن الله قد غفر لكم))

وهي أحسن الحسنات ، قال أبو ذر : قلت : يا رسول الله علمني عملا يقربني من الجنة ويباعدني من النار ، قال : ((إذا عملت سيئة فاعمل حسنة ؛ فإنها عشر أمثالها)) ، قلت : يا رسول الله ، لا إله إلا الله من الحسنات ؟ ، قال : ((هي أحسن الحسنات)) .

وهي تمحو الذنوب والخطايا ، وفي سنن ابن ماجه ، عن أم هانيء ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : ((لا إله إلا الله ، لا تترك ذنبا ولا يسبقها عمل)) .

رؤي بعض السلف بعد موته في المنام فسُئل عن حاله ، فقال : ما أبقت لا إله إلا الله شيئا .

وهي تجدد ما درس من الإيمان في القلب ، وفي المسند أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه : ((جددوا إيمانكم)) ، قالوا : كيف نجدد إيماننا ؟ قال : ((قولوا لا إله إلا الله)) .

وهي التي لا يعدلها شيء في الوزن ، فلو وزنت بالسماوات والأرض رجحت بهن ، كما في المسند عن عبد الله بن عمرو ، عن النبي صلى الله عليه وسلم : ((أن نوحا قال لابنه عند موته : آمرك بلا إله إلا الله ؛ فإن السماوات السبع والأرضين السبع لو كن حلقة مبهمة قصمتهن لا إله إلا الله)) ، وفيه أيضا عن عبد الله بن عمرو رضي الله تعالى عنهما ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : ((إن موسى عليه السلام قال : يا ربي علمني شيئا أذكرك به وأدعوك به ، قال : يا موسى قل لا إله إلا الله ، قال : يا ربي كل عبادك يقولون هذا ، قال : قل لا إله إلا الله ، فقال : لا إله إلا أنت ، إنما أريد شيئا تخصني به ، قال : يا موسى لو أن السماوات السبع وعامرهن غيري والأرضين السبع في كفة ، ولا إله إلا الله في كفة ، ما لت بهن لا إله إلا الله)) .

ولذلك ترجح بصحائف الذنوب ، كما في حديث السجلات والبطاقة ، وقد خرجه أحمد والنسائي والترمذي أيضا ، من حديث عبد الله بن عمر ، عن النبي صلى الله عليه وسلم .

وهي التي تخرق الحجب كلها حتى تصل إلى الله عز وجل ، وفي الترمذي عن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : ((لا إله إلا الله ليس لها دون الله حجاب حتى تصل إليه)) ، وفيه أيضا عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : ((ما قال عبد لا إله إلا الله مخلصا إلا فتحت له أبواب السماء حتى تفضي إلى العرش ما اجتنبت الكبائر)) .

وروي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ، مرفوعا : ما من شيء إلا بينه وبين الله حجاب ، إلا قول لا إله إلا الله . كما أن شفتيك لا تحجبها كذلك لا يحجبها شيء حتى تنتهي إلى الله عز وجل .

وقال أبو أمامة : ما من عبد يهلل تهليلة فينهنها شيء دون العرش .

وهي التي ينظر الله إلى قائلها ويجيب دعاءه ، خرج النسائي في (كتاب اليوم والليلة) من حديث رجلين من الصحابة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : ((من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، مخلصا بها روحه ، مصدقا بها قلبه ولسانه . إلا فتق الله له السماء حتى ينظر إلى قائلها من أهل الأرض ، وحق لعبد نظر الله إليه أن يؤتيه سؤله)) .

وهي الكلمة التي يصدق الله قائلها ، كما خرجه النسائي والترمذي وابن حبان ، من حديث أبي هريرة ، وأبي سعيد رضي الله عنهما ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : ((إذا قال العبد : لا إله إلا الله والله أكبر صدقه ربه وقال : لا إله إلا أنا وأنا أكبر ، وإذا قال : لا إله إلا الله وحده ، يقول الله : لا إله إلا أنا وحدي ، وإذا قال : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، قال الله : لا إله إلا أنا وحدي لا شريك لي ، وإذا قال : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ،

له الملك وله الحمد ، قال الله : لا إله إلا أنا لي الملك ولي الحمد ، وإذا قال : لا إله إلا الله ولا حول ولا قوة إلا بالله ، قال الله : لا إله إلا أنا ولا حول ولا قوة إلا بي)) .

وكان يقول : ((من قالها في مرضه ثم مات لم تطعمه النار)) .

الشرح :

تقدم أن المؤلف . رحمه الله . رأى أن يختم هذا الدرس ، وأقول الدرس ؛ لأن الذي يظهر أنه لم ينشيء هذه على وجه التأليف ؛ لأنه لم يصدرها بتقدمة ، وإنما استهلت بذكر أحاديث فضل التوحيد وفضل لا إله إلا الله ، واستدلال المرجئة بها إلى آخر ما تقدم ، فكأنه درس ألقاه وأملاه رحمه الله .

يختم هذا الدرس بذكر وبالتنويه بفضل كلمة التوحيد (لا إله إلا الله) ، ولا ريب أنها كلمة عظيمة ؛ لأنها مشتملة على أمر عظيم ؛ فإنها الشهادة التي شهد الله بها لنفسه ، وشهدت بذلك ملائكته وأولو العلم **[شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم]** [آل عمران : 18] .

لا إله إلا الله ، كم نجد في القرآن من لفظها ومن معناها ؟ نجد في القرآن لا إله إلا الله ، ونجدها في القرآن بأساليب **[لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين] ، [لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون] ، [لا** .....

إله إلا هو] ، [لا إله إلا أنت] ، [لا إله إلا الله] هذا كله بلفظ كلمة التوحيد .

ونجد معناها أيضا مبثوثا في آيات القرآن مما لا يحصى ؛ ففي قول الأنبياء : **[اعبدوا الله ما لكم من إله غيره]** **[ما لكم من إله غيره]** هو معنى لا إله إلا الله ،**[وما من إله إلا إله واحد]** ، بل فيه أيضا **[لا إله إلا أنا]** يعني جاءت كل الكلمات ، بالاسم الظاهر ، وبالضمير ، ضمير المتكلم ، يقول سبحانه : **[لا إله إلا أنا فاعبدني]** ، هذا مما قاله لموسى عليه السلام

وأشار المؤلف إلى أن الله خاطب بها موسى ، يقول : كفاحا ، إن أراد بقوله : كفاحا ، أي بلا واسطة منه إليه ، من وراء حجاب ، فنعم ؛ فهو حق ، وهذه خصوصية موسى أن الله كلمه بلا واسطة ، ولكن لفظ (كفاح) تشعر بالرؤية ، وهذا المعنى من قصده فهو غالط ومخطيء ، والمؤلف . قطعا . لا يريد ذلك ، المؤلف لا يمكن أن يريد أن الله كلم موسى كفاحا ، أي من غير حجاب ، بل كلمه من وراء حجاب .

وجاء في شأن عبد الله بن حرام والد جابر الذي استشهد في وقعة أحد ، ورد فيه أنه صلى الله عليه وسلم ، قال لجابر : ((أما علمت أن الله كلم أباك كفاحا)) ، كلمه كفاحا : هذا معناه أنه كلمه من غير حجاب ، وهذا في العالم الآخر ، كلمه كفاحا .

أقول : هذه الكلمة جاءت في القرآن ، بهذا التركيب ، بتركيب الذي والاستثناء ، وهو أسلوب الحصر ، **[إياك نعبد]** ، **[لا إله إلا الله]** ، **[لا إله إلا أنت]** ، وجاءت أيضا بأساليب أخرى من أساليب الحصر مثل

[إياك نعبد] ، فقوله : **[إياك نعبد]** معناه لا نعبد غيرك ، لا نعبد إلا إياك ، فهو بمعنى لا إله إلا الله ، إياك نعبد تساوى لا إله إلا أنت ، لا نعبد غيرك ،

وفي معناها دعوة الأنبياء : **[أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت]** [النحل : 36] هذا هو معنى لا إله إلا الله ، وقول إبراهيم لقومه : **[إنني براء مما تعبدون إلا الذي فطرني فإنه سيهدين وجعلها كلمة باقية]**[الزخرف : 26 . 28] ، هذه الكلمة هي كلمة التوحيد ، ونفس الكلمة هذه أيضا جاءت بمعناها في قوله سبحانه : **[قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله]** [آل عمران : 64 . 65] .

وورد في فضلها من الأحاديث الصحيحة الشيء الكثير ، وفي مشروعية اللهج بها ، لا إله إلا الله ، فهي إحدى الكلمات الأربع التي قال فيها الرسول عليه الصلاة والسلام : ((لئن أقول : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر ، أحب إلي مما طلعت عليه الشمس)) ، لا إله إلا أنت ، لا إله إلا الله ، وهي أفضلهن ، لا ريب أن لا إله إلا الله هي أفضل هذه الكلمات الأربعة .

وورد استحباب ذكر الله بها في مواضع ، كالذكر بعض الصلاة ، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول دبر كل صلاة : ((لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير)) ، مع أذكار أخرى أيضا في نفس هذه الكلمة ، لا إله إلا الله ، ولا نعبد إلا إياه ، لا إله إلا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون .

وذكر الله بها مطلقا ومقيدا كثير ، كما ورد ((من قال : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، من قال ذلك

مائة مرة ، كتبت له مائة حسنة ، وحط عنه مائة خطيئة ، وكانت له حرزاً من الشيطان يومه ذلك ، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا من زاد عليه)) ، أو كما جاء في الحديث .

لا إله إلا الله ، تقدم أنها كلمة التقوى ، التقوى تقوم عليها ، فبها يتقى الشرك بالله ، وتتقى جميع المعاصي ، من قالها وتحقق بها ، تحقق بالتقوى ، فمن حقق التوحيد ، فقد حقق التقوى التي هي امتثال الأوامر واجتناب النواهي.

وفضائلها كثيرة ؛ لأنها تتضمن التوحيد ، توحيد الله في إلهيته ، وهي تتضمن أيضا توحيده في ربوبيته ؛ فإن توحيد العبادة . أو توحيد الإلهية . يتضمن أيضا الربوبية ، وتوحيد الأسماء والصفات .

إذًا فكلمة التوحيد : لا إله إلا الله متضمنة لأنواع التوحيد الثلاثة ، وإن كان المقصود الأول والأعظم منها ، هو توحيد العبادة ؛ لأنه هو الذي وقعت فيه الخصومة بين الرسل وأممهم ، وهو التوحيد الذي وقع فيه الانحراف من سائر الأمم .

ومن عظيم شأنها ، أنها هي التي خلق الخلق من أجلها ، كما تقدم خلق الله السماوات والأرض ، وخلق الموت والحياة ، وخلق ما على الأرض ، وخلق الجنة والنار ، كل ذلك من أجل توحيده سبحانه وتعالى ، الذي هو معنى : لا إله إلا الله . والله خلق الثقلين ، الجن والإنس ، لهذه الكلمة : لا إله إلا الله ، ليعبدوه :**[وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون]** [الذاريات : 56] .

وما ساقه المؤلف مما مر علينا ، منه ما هو من قسم الصحيح ، ومنه ما هو من قسم الحسن ، ومنه ما هو من الضعيف ، وقلت لكم : إن أهل العلم ،

من منهجهم الاستشهاد بالحديث الضعيف وبالآثار ، في تأييد الأمر الثابت بالدليل الصحيح ، ففضل لا إله إلا الله ثابت ، بالأدلة من الكتاب والسنة ، وهي رأس الأمر ، وهي أصل دين الرسل من أولهم إلى آخرهم ، **[وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون]** ، **[قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد]** الآية .

فلا غرابة إذا حشد المؤلف هذه المأثورات ، وهذه الأحاديث في فضل لا إله إلا الله ، ومن ذلك حديث أبي سعيد ، وعزاه هنا ، أو نسبه ، أو جعله من رواية عبد الله بن عمر ، وحديث أبي سعيد في فضل لا إله إلا الله ، وهو ما أورده الشيخ محمد بن عبد الوهاب في باب فضل التوحيد وما يكفره من الذنوب ، وأن موسى عليه السلام قال : : (يا رب علمني شيئا أذكرك به وأدعوك به ، قال : يا موسى قل لا إله إلا الله ، قال : يا ربي كل عبادك) يقولون هذا . معناها أنه كما في اللفظ الذي ساقه المؤلف : أريد أن تخصني به ، كل عبادك المؤمنين الموحدين يقولون : لا إله إلا الله ، قال : (يا موسى لو أن السماوات السبع وعامرهن غيري والأرضين السبع في كفة ، ولا إله إلا الله في كفة ، مالت بهن لا إله إلا الله) .

فمثل هذا إذا نظر إلى ، فيه لا إله إلا الله ، ينظر إلى الكلام في فضلها من وجهين :

من جهة : معناها من حيث هي، معناها ومدلولها ،فهي تدل على أعظم

.....

المعاني ، على أن الله العظيم الموصوف بكل كمال ، المنزه عن كل نقص ، أنه هو الإله الحق الذي لا يستحق العبادة سواه ، وأنه سبحانه رب كل شيء ومليكه

، فهو العظيم الذي لا أعظم منه ، وهو الكبير المتعال ، وهو الموصوف بكل كمال ، فبهذا الاعتبار ، هذا المعنى يرجح بكل شيء ، هذا المعنى العظيم الذي تدل عليه هذه الكلمة ، يرجح بالسماوات والأرض ، فالسماوات والأرض ومن فيهن ، ليست بشيء في جانب هذا المعنى العظيم الذي تدل عليه هذه الكلمة .

أما من حيث إنها عمل وقول ، يقوله العباد . العباد يقولون : لا إله إلا الله ، فإن وزنها يختلف ، فيقولها المنافق ولا وزن لها ، هذه الكلمة من المنافق ، من حيث إنها قول لهم ، يقولها : لا إله إلا الله ، هل لها وزن ؟ ، ليس لها وزن ، ويقولها سائر الموحدين الصادقين ، لكن مع التفاوت العظيم ؛ فهي من الأنبياء والمرسلين والكمل من المؤمنين ، غير وزنها وثقلها ممن هم دونهم ، فهل هذه الكلمة ، كلمة التوحيد ، من حيث أنها عمل من أعمال العباد وأقوالهم التي توزن ، هذه تتفاوت تفاوتاً عظيماً .

فالذين يدخلون النار ممن يقولها ، لا ريب أن وزنها لم يرجح بسيئاتهم ، لو كان وزنها رجح بسيئاتهم ما دخلوا ، لكن صاحب البطاقة له حال آخر ، صاحب البطاقة الذي ينشأ له تسعة وتسعون سجلاً من السيئات ، فيبهت ، فيقال له : لك حسنة ؟ ، فيقول : لا يا ربي ، فيبهت ، ويقال : بل لك عندنا حسنة ؛ فإنك لا تظلم ، فتخرج له بطاقة فيها لا إله إلا الله ، فتوضع البطاقة في كفة ، والسجلات في كفة ، فقال : فطاشت السجلات وثقلت البطاقة ، هذه

لها حالة أخرى ، لها ثقل يختلف عن حال الآخرين ، فلابد من ملاحظة هذا المعنى ، والله أعلم .

هذا المعنى يستفاد من النظر إلى مجموع النصوص ، لا تقف عند دليل واحد وتنسى كل الأدلة ، وتفهمها الفهم القاصر ، لكن افهم الأدلة مضمومًا بعضها إلى بعض ، فتخرج بالنتيجة والله أعلم .

وهكذا القول في المأثور عن نوح عليه السلام (إن السماوات السبع والأرضين السبع لو كانت حلقة) . كلها حلقة ، هذا تصوير لبيان عظم وزنها .(لو كانت حلقة مبهمة فصمتهن . أو قصمتهن . لا إله إلا الله) .

وهي كلمة التوحيد ، من الكلم الطيب ، إي والله الكلم الطيب ، هي في ذاتها من الكلم الطيب ، ومن أطيب الطيب ، لكن يختلف أيضا حكمها بحسب قائلها ، وما صدرت عنه من أحوال القلوب ، من الكلم الطيب **[إليه يصعد الكلم الطيب]** [فاطر : 10] .

إذًا هذه الكلمة تصعد إلى الله ، وهل صعودها خاص بها ؟ لا ، بل كل الكلم يصعد إلى الله ، **[إليه يصعد الكلم الطيب]** ، من التسبيح والتهليل والتكبير وتلاوة القرآن ، كل كلمة يقولها الإنسان من الكلم الطيب الذي يحبه الله ويأمر به ، فإنه يدخل ويشمله عموم **[إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه]** ، ومتى صعد إليه فإنه لا يحجب ، فالله يقبله ، سبحانه وتعالى من عبده المؤمن المخلص الذي ذكر الله ، صادقا معظما لربه مثنيا .

فهذه الكلمة ، كلمة مجملة عما أورده المؤلف وما استشهد به في فضل لا إله إلا الله .

قال رحمه الله :

وهي أفضل ما قاله النبيون كما ورد ذلك في دعاء يوم عرفة ، وهي أفضل الذكر كما في حديث جابر المرفوع ، ((أفضل الذكر : لا إله إلا الله)) ، وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : ((أحب كلمة إلى الله تعالى ، لا يقبل

الله عملا إلا بها ، وهي أفضل الأعمال ، وأكثرها تضعيفا ، وتعدل عتق الرقاب ، وتكون حرزا من الشيطان كما في (الصحيحين) عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : ((من قال لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، هو على كل شيء قدير ، مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب ، وكتبت له مائة حسنة ، ومحي عنه مائة سيئة ، وكانت له حرزا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي ، ولم يأت أحد أفضل مما جاء به ، إلا أحد عمل أكثر من ذلك)) * .

وفيهما أيضا عن أبي أيوب عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : ((من قالها عشرة مرات ، كان كمن أعتق أربع أنفس من ولد إسماعيل)) .

وفي الترمذي عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما ، مرفوعا : ((من قالها حين دخل السوق)) ، وزاد فيها ((يحيي ويميت كتبت له ألف ألف حسنة ، ومحي عنه ألف ألف سيئة ، ورفع له ألف ألف درجة)) ، وفي رواية ((وبني له بيت في الجنة)) .

ومن فضائلها أنها أمان من وحشة القبر ، وهول الحشر ، كما في (المسند) وغيره ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : ((ليس على أهل لا إله إلا الله وحشة في قبورهم ولا في نشورهم ، وكأني بأهل لا إله إلا الله قد قاموا ينفضون التراب عن رؤوسهم ويقولون : الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن)) .

* أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق : باب صفة إبليس ، وفي كتاب الدعوات : باب فضل التهليل ، ومسلم في كتاب الذكر : باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء ، والترمذي في كتاب الدعوات ، وأحمد في المسند .

وفي حديث مرسل : ((من قال : لا إله إلا الله ، الملك الحق المبين ، كل يوم مائة مرة ، كانت له أماناً من الفقر ، وأنساً من وحشة القبر ، واستجلب به الغَنَاء ، واستقرع به باب الجنة)) .

وهي شعار المؤمنين إذا قاموا من القبور ، قال النضر بن عربي : بلغني أن الناس إذا قاموا من قبورهم ، كان شعارهم لا إله إلا الله .

وقد خرج الطبراني حديثا مرفوعا ((إن شعار هذه الأمة على الصراط ، لا إله إلا أنت)) .

ومن فضائلها ، أنها تفتح لقائلها أبواب الجنة الثمانية ، يدخل من أيها شاء ، كما في حديث عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم ، فيمن أتى بالشهادتين بعد الوضوء ، خرجه مسلم .

وفي (الصحيحين) عن عبادة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : ((من قال : أشهد أن لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، وأن عيسى عبد الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه ، وأن الجنة حق ، والنار حق ، وأن الله يبعث من في القبور ، فتحت له ثمانية أبواب من الجنة ، يدخل من أيها شاء)) .

وفي حديث عبد الرحمن بن سمرة عن النبي صلى الله عليه وسلم في قصة منامه الطويل ، وفيه قال : ((ورأيت رجلاً من أمتي انتهى إلى أبواب الجنة ، فأغلقت الأبواب دونه ، فجاءته شهادة أن لا إله إلا الله ، ففتحت له الأبواب وأدخلته الجنة)) .

ومن فضائلها أن أهلها وإن دخلوا النار بتقصيرهم في حقوقها فإنهم لابد أن يخرجوا منها ، وفي (الصحيحين) عن أنس ، عن النبي صلى الله عليه

وسلم أنه قال : ((قال الله عز وجل : وعزتي وجلالي وكبريائي وعظمتي لأخرجن منها من قال : لا إله إلا الله))

وخرج الطبراني عن أنس ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : ((إن أناسا من أهل لا إله إلا الله يدخلون النار بذنوبهم ويقول لهم أهل اللات والعزى : ما أغنى عنكم قول لا إله إلا الله ، فيغضب الله لهم فيخرجهم من النار فيدخلون الجنة)) .

ومن كان في سخطه محسنا فكيف يكون إذا ما رضي ؟! ، لا يسوى بين من وحده وإن قصر في حدود توحيده وبين من أشرك به ، قال بعض السلف : كان إبراهيم عليه السلام يقول : اللهم لا تشرك من كان يشرك بك بمن كان لا يشرك بك .

كان بعض السلف يقول في دعائه : اللهم إنك قلت عن أهل النار إنهم أقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت ، ونحن نقسم بالله جهد أيماننا ليبعثن الله من يموت ، اللهم لا تجمع بين أهل القسمين في دار واحدة

كان أبو سليمان يقول : إن طالبني ببخلي طالبته بجوده ، وإن طالبني بذنوبي طالبته بعفوه ، وإن أدخلني النار أخبرت أهل النار أني كنت أحبه .

وكان بعض العارفين يبكي طول ليله ويقول : إن تعذبني فإني لك محب ، وإن ترحمني فإني لك محب ، العارفون يخافون من الحجاب أكثر ما يخافون من العذاب .

قال ذو النون : خوف النار عند خوف الفراق كقطرة في بحر لجي .

كان بعضهم يقول : إلهي وسيدي ومولاي ، لو عذبتني بعذابك كله كان ما فاتني من قربك أعظم عندي من العذاب .

اجتهدوا اليوم في تحقيق التوحيد ؛ فإنه لا يوصل إلى الله سواه ، واحرصوا على القيام بحقوقه ؛ فإنه لا ينجي من عذاب الله إلا إياه .

آخره والحمد لله وحده ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم تسليما كثيرا ، وحسبنا الله ونعم الوكيل ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

الشرح :

في هذه الجملة بعض ما تقدم التنبيه عليه ، ومما ورد أن لا إله إلا الله أمان لقائلها من وحشة القبر ويوم البعث ، هذا كلام حق ، ويمكن أن نستدل لهذا بقوله تعالى : **[الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون]** [الأنعام : 82]

وقد أورد الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، في باب فضل التوحيد هذه الآية ، نعم إن التوحيد هو سبب الأمن والهدى ، فمن ثبت له أصل التوحيد فإنه يأمن من الخلود في النار ، فلا بد له من دخول الجنة ، ومن حقق التوحيد وقال هذه الكلمة محققا لمعناها عاملا بمقتضاها ، فاز بالأمن التام والهدى التام ، فجزاء الله للعباد قائم على العدل ، فلا يسوي بين المشركين والموحدين ، ولا يسوي بين العصاة المسرفين على أنفسهم وبين المتقين ، تعالى الله عن ذلك **[أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض أم نجعل المتقين كالفجار]** [ص : 28] . الله تعالى يتقدس عن هذا ويتعالى أن يسوي بين أوليائه وأعدائه ، أو بين المفرطين في حقه والقائمين بحقه ، ولهذا

.....

بحكمته وعدله سبحانه جعل الجنة درجات ، حتى إن من أهل الجنة من يتراءون الغرف كما يتراءى الناس الكوكب الغارب في الأفق ، يعني في علو بعيد ، فهي منازل ودرجات متفاضلة ، والوسيلة هي أعلى درجة في الجنة ، وهي لنبينا صلى الله عليه وسلم ، فدرجتهم ونعيمهم يتفاضل ، كما في حديث عبادة ((أدخله الله الجنة على ما كان عليه من عمل)) ، قد قيل في معناه : يعني من حيث الدرجات ، يدخل الجنة على ما كان من عمل .

فمن فضل لا إله إلا الله . يعني من فضل التوحيد . أنه به الأمان ، فمن قالها وكان محققا لها فله الأمن من عذاب القبر ووحشته ومن الفزع يوم الفزع الأكبر **[من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون]** [النمل : 89] الحسنة هي لا إله إلا الله ، لكن ليس المقصود هو مجرد التلفظ بها ، العصاة المسلمين يحصل لهم من الفزع يوم القيامة ومن الخوف بحسب حالهم وذنوبهم ، وينالهم من العذاب ما شاء الله بحسب ذلك ، لكن الذي يفوز بالأمن **[وهم من فزع يومئذ آمنون]** من جاء بالتوحيد وجاء بالإيمان ولم يخلطه بظلم **[الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن]** سبحان الله العظيم **[أولئك لهم الأمن وهم مهتدون]** . وقد فصل شيخ الإسلام ابن تيمية في كلامه على هذه الآية ما يفهم به المراد ، ما يفهم عن الله مراده من كلامه .

فإن الظلم أنواع : الظلم في حق الله ، ولا تقل : ظلم الله ، العباد لا يظلمون الله **[وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون]** لكن الظلم في حق الله هو الشرك الأكبر ، وهذا ينافي الأمن والهدى مطلقا ، فلا أمن ولا

هدى لمن لبس إيمانه بالشرك ، كما قال عليه الصلاة والسلام لما أشكل على الصحابة هذه الآية وشق عليهم ، قال : ((ألم تسمعوا إلى قول العبد الصالح : [**إن الشرك لظلم عظيم**] [لقمان : 13])) .

والظلم الثاني : ظلم الإنسان نفسه بالمعاصي ، فهذا أيضا يفوت بهذا الظلم من الأمن والهدى بحسب ما اقترفه العبد من المعاصي .

والثالث : ظلم العباد في دمائهم ، في أنفسهم وأموالهم وأعراضهم ، فالنوع الثاني والثالث لا يمنعان من الأمن والهدى مطلقا ، مع التوحيد لا يمنعان من الأمن والهدى ، فالذي ينافي الأمن مطلقا والهدى هو الشرك والكفر بأنواعه ، فلا بد من معرفة هذه الحقيقة ؛ لأننا علمنا من النصوص أن الذي يقترف الذنوب على اختلاف أنواعها معرض للعذاب ، إذًا فليس له الأمن التام ، ليس آمنا ، لا يرد القيامة آمنا [**أفمن يلقى في النار خير أمن يأتي آمنا يوم القيامة**] [فصلت : 40] ، يأتي آمنا , الذي يأتي آمنا هو المؤمن الموحد الصادق الذي قدم على ربه غير مصر على شيء من الذنوب ، فله الأمن في ذلك اليوم [**من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون**] آمن من الفزع آمن من العذاب ، آمن من النار ، والله تعالى يذكر هذا المعنى في مواضع [**فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون**] لا خوف عليهم ، يخافون في الدنيا لكن يوم القيامة يزول عنهم الخوف، وإن حصل في بعض المواقف خوف عام ، الخوف العام هذا شيء آخر ، كما في أحاديث الشفاعة ، الرسل في ذلك اليوم يترادون الشفاعة ويمتنعون ويعتذرون ، كل منهم يقول : إن ربي غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله ، نفسي نفسي

نفسي . هذا خوف عام يحدث لسائر الخلق ، حتى الأنبياء والرسل ، لكن لهم الأمن الذي تزول معه تلك المخاوف .

هذه أيضا كلمة أقولها تعليقا على ما سمعتم من هذه الجملة التي ساقها المؤلف في التنويه بفضل لا إله إلا الله ، وختمها ببعض المقولات والآثار عن مسألة محبة الله وأن عذاب الحجاب أعظم من عذاب النار ، وعذاب الحجاب هذا مما يتضمنه عذاب النار ، نعوذ بالله من النار ، ونعوذ بالله من الحجاب [**كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ثم إنهم لصالوا الجحيم ثم يقال هذا الذي كنتم به تكذبون**] [المطففين : 15 . 17] .

كما أن أعلى نعيم أهل الجنة وأفضله هو النظر إلى وجه الله ، فنعيم النظر هو داخل في نعيم الجنة ، فالصوفية يفصلون بينهما ويجعلون الجنة اسما خاصا بما فيها من المآكل والمشارب والمطاعم والمنافع ، والله تعالى إذا وعد عباده بالجنة ، فمن نعيمها نظر أوليائه إليه في جنات النعيم وسماعهم لكلامه . نسأله سبحانه وتعالى أن يمن علينا بأسباب النجاة ، وأن يجعلنا وإياكم من الفائزين برضاه وعفوه والفائزين بكرامته ، وأن يجعلنا ممن ينعم بالنظر إلى وجهه الكريم ، اللهم إنا نستغفرك ونتوب إليك ، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله .